المتحرك ساكناً فان الانتقال اليه اهون من الانتقال الى الحرف الموقوف عليه لان الساكن للمدرج اقرب الى المتحرك من الساكن الموقوف عليه لان الوقف على الحرف يمكنه فيشكامل الصوت عند النطق به فان ادرجته ووصلته بما بعده نقص الصوت وخفى الحرف لسرعة الانتقال عنه فشابه المتحرك وحسن لذلك الانتقال عن المتحرك اليه وصار ذلك اخف من توالى المتحركين لان حاله بين الحالين ولذلك كان مثال فَعِل اخف الأبنية واكثرها لان فتحة الفآء وسكون العين فى الدرج واللام فى الوقف احوال مع اختلافها متقاربة لان التقارب من كل وجه مستثقل لكونه بمنزلة التكرار وكذلك التنافر من كل وجه لما فيه من التنافر والتمانع والذى يدل على تقارب الفتحه والسكون ان كل واحد منهما يهرب اليه مما هو اثقل منه نحو غُرَفات وغُرْفات وكَسَرات وكِسْرات وان مثال حوض وثوب اذا جمع على فعال قلبت واوه يآءً لسكونها فى الواحد نحو حياض وثياب وكذلك اذا كانت الواو مضمومة فى الواحد نحو جَواد وجِياد فان تحركت فى الواحد بغير الفتحة صحت فى الجمع نحو طَويل وطِوال قلبت وكذلك اسكانهم نحو عَضُدٍ وكَتِفٍ ولم يسكنوا نحو جَمَلٍ وحَمَلٍ ومما يدل على ان الساكن المدرج ليست له حال الموقوف عليه انك قد تجمع بينهما فى الوقف نحو بَكْرٌ وعَمْرٌ ولو تساوت حالاهما للزم من ذلك جواز الابتدآء بالساكن لان الاول ان كان بمنزلة الموقوف عليه فقد بدأت بعده بالساكن الذى يليه والابتدآء بالساكن لا يكون فى لغة العرب فدل ذلك على انه لم يتمكن فى السكون تمكن الموقوف عليه ويزيد ذلك وضوحًا انك تقول فى الوقف النفس فتجد السين اتمّ صوتا من الفآء، فان قلبت فقلت النسف وجدت الفآء اتم صوتا من السين وهذا برهان يُلحق بالهندسى فى الوضوح والبيان وقد وضح بذلك وجه خفة الثلاثى وترتب عليه ان الرباعى اثقل منه لكثرة حروفه ولا شك فيما بعد فى ثقل المحاسى وقوة الكلفة به فاذا كان كذلك ثقل عليهم مع تناهيه وطوله ان يستعملوا فى الأصل الواحد جميع ما يقسم به اليه جهات تركيبه وذلك ان الثلاثى يتركب منه ستة اصول مستعملة والرباعى يتركب منه اربعة وعشرون بناءً لانك تضرب عدد حروفه فيما خرج من تركيب الثلاثى يكون اربعة وعشرين المستعمل منها قليل واذا كان المستعمل

من الرباعى

من الرباعى قليلاً مع قربه من الثلاثى فما ظنك بالمحاسى مع طوله وبعده عن الثلاثى لان طوله واستثقاله يوجب الاقلال منه مع ان تراكيبه تبلغ مائة وعشرين لانك تضرب عدد حروفه فيما خرج من الرباعى فيكون مائة وعشرين بناءً لم يستعمل منها الا اليسير واما الرباعى فلقربه من الثلاثى كان اشبهَ مالاً واكثر استعمالاً ولما كانوا قد اعطوا الرباعى بعض احكام الثلاثى فى الأستعمال وشبهوه به فى الخفة بعض التشبيه حملوا ايضا الثلاثى عليه فى الأستثقال فاهملوا بعض تراكيبه وان كان غير مستثقل فى الطبع كما لم تخلو المحاسيه من بعض التصرف فيها حملاً على الرباعى كما حملوا الماضى على المضارع فى بنائه على حركة وذلك نحو ما استعملوه من تحقيرها وتكسيرها وترخيمها لان من شأنهم اذا اعطوا شيئا من شئ حكمًا فاعطوا ذلك بان يعطوا الماخوذ منه حكمًا من احكام صاحبه عمارةً لبينهما وتتميمًا للشبه الجامع لهما وعليه باب مالا ينصرف فلم يصرفوا الأسم تشبيها بالفعل كما اعربوا الفعل تشبيها بالأسم فكذلك الثلاثى محمول فى الأهمال على حكم الرباعى فيه لقربه من المحاسى فاما تخصيص بعض التراكيب بالاهمال فلانها أدخل فى باب الأستثقال واشنع تأليفا من الذى ورد به الأستعمال نحو ضَعَ وكَفَى وما اشبه ذلك من المهملات وليس كل المهملات تكون على ذلك بل منها ما يسارى المستعمل فى خفته الا ترى انهم لو قالوا اللَّبَعَ مكان النَّجَع لقام مقامه واغنى غناءه ولعلهم تركوا ما هذه سبيله لاغراض لهم قصدوها فان كثيرًا من هذه اللغة وجدته مضاهيا باجراس حروفه اصوات الافعال التى عبر بها عنها الا ترا هم قالوا قَضَمَ فى اليابس وخَضَم فى الرطب وذلك لقوة القاف وضعف الخآء فجعلوا الصوت الأقوى للفعل الأقوى والصوت الأضعف للفعل الأضعف وكذلك قالوا صَرَّ الجندب فكرروا الرآء لما هناك من استطالة صوته وقالوا ضَرْصَرَ البازى فقطعوه لما هناك من تقطيع صوته وسموا الغراب غاق حكاية لصوته والبظ بظاحكاية لاصواتها وقالوا قطّ الشئ اذا قطعه عرضا وقدّه اذا قطعه طولا وذلك لان مقطع الطآء اقصر مدةً من مقطع الدال وكذلك قالوا مدّ الحبل ومدّ اليه بقرابة فجعلوا الدال لانها مجهورة لما فيه علاج وجعلوا التآء لانها مهموسة لما لا علاج فيه وقالوا الخَذَأ بالهمز فى ضعف النفس والخذا غير مهموز فى استرخآء الأذن يقال اذن عَذْراء واذان خُذْو فجعلوا الهمزة التى هى اقوى من الواو للعيب فى النفس والواو

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)